أنا في ضمير الناس

محمد الدرة يروي قصة قتله

دميَ البريءُ على الثرى مسكوبُ ... وأبي يُحِسُّ بدَفقه فيذوبُ

عيناه لم ترني لِضرٍّ مسّه ... فأبي لهولِ مصابهِ (يعقوبُ)

❖❖❖

لله صبرُكَ واحتمالُكَ يا أبي ... لله أنتَ وقد دهتْكَ خطوبُ!

القدسُ والأقصى وفُرقةُ أُمتي ... والغاصبُ المحتلُّ، والمغصوبُ

وأنا ووالدتي وسبعةُ إخوةٍ ... وجميعُ ما من حقّنا مسلوبُ

آثرتَ حملَ همومِ قومِكَ راضياً ... وبهمِّهمْ كم يعذُبُ التعذيبُ!

جسداً - كما علّمتَ - تبقى أُمتي ... مهما طفا التشريقُ والتغريبُ!

❖❖❖

مازلتُ أذكر كيف قُمتَ مبكّراً ... عَجِلاً كأنك يا أبي مرعوبُ

وخرجتُ إثرَكَ علّنا نلقى الذي ... يُرضي جياعَ الأهلِ حين نؤوبُ

ماكان من حجرٍ بكفّي يومها ... كلاّ، ولا من مقلتي تصويبُ

وتكاد تبدو من نحولِكَ مُجهَداً ... والسيرُ منكَ من الهُزالِ دبيبُ

كنا نظنُّ بَراءتَينا شافعاً ... فإذا هما عند الطغاةِ ذنوبُ

كنتَ العطوفَ، وكنتَ عفّاً طاهراً ... تردُ البلاد لرزقنا، وتجوبُ

وأنا البريءُ بعمرِ زهرةِ نرجسٍ ... الحسنُ ملءُ إهابها والطيبُ

لـم أُوذِ يومـاً في الخلائـقِ نملـةً ... كـلا، ولا كـانت لـديَّ نيـوبُ
مـازلتُ أذكـرُ كيـف بِتنـا يـا أبـي ... ليـلاً مـن الظمـأِ الممـضِّ نلـوبُ
أودى حصارُ الظلـم بـالقوت الـذي ... لـم يبـق منـه للذبـابِ نصيـبُ
طُفنـا نؤمِّـلُ يـا أبـي لـو لقمـةً ... فـإذا الرصـاصُ الأكـلُ والمشـروبُ
يـا هـولَ مـا تلقـى وألقـى يـا أبـي ... أنّـى اتجهنـا فـالدُروب لهيـبُ
مِـن خلفنـا جـوعٌ يُعـذِّبُ أهلنـا ... وأمـامَ أعيننـا الـردى منصـوبُ
خبّـأتني خوفـاً علـيَّ مـن الأذى ... فـإذا الـردى مـن حولنـا مصبـوبُ
أردفَتنـي وجعلـتَ صـدرَكَ واقيـاً ... جسمي الطريُّ عسى الرصاصُ يخيبُ
مـا كـان مـن صيـدٍ سـوانا تبتغـي ... فعلـى كليْنـا دفقُهـا مسـكوبُ
خَرقـتْ فـؤادي طلقـةٌ وتظننـي ... أنـي بصـدركَ دونهـا محجـوبُ
وسقطتُ بين يديك لا تقوى على ... حملي، ولا لـكَ في النهوضِ نصيبُ
وتتـالت الطلقـاتُ نحـوكَ يـا أبـي ... فـإذا بجسـمكَ أرهقتـه ثقـوبُ
لهفـي عليـك مضرَّجـاً مثلـي بهـا ... لكـنْ سـلمتَ ليبـدأ التعذيـبُ
عطبـوا يمينَـكَ لـم أقبِّلْهـا، ولا ... لمستْ جراحـي حـين كنـتُ أغيـبُ
أوّاه يـا أبتـا لوأنـك لامـسٌ ... جرحي... أما قد كان منك يطيبُ!
قـل لـي بربِّـكَ يـا أبـي لا تخجلـنْ ... أوَلـم تكـن إمـا سُـئِلتَ تجيـبُ!
مَـن ذا سـيطعِمِ إخوتـي ويعولُهـم ... مَـن ذا وأنـت محطَّـمٌ معطـوبُ؟
يـا ليتَ أرجـعُ كـي أكونَ لـكَ الفـدا ... فلإخوتـي للـرزق أنـتَ جَلـوبُ!

ماذا أرادوا يا أبي، هل قتلتي ... هي وحدها لجراحهمْ تطبيبُ!
أيُّ الشرائع قد أقرَّت قتلتي ... عمداً... أما شرعُ اليهودِ عجيبُ؟!
أوَما لموسى، أو لإسرائيلَ قد ... زعموا بأنَّ جميعهم منسوبُ
هل يرتضي موسى وعيسى ما ادَّعوْا ... أنْ ما عليهم من دمي تثريبُ!
تَهبُ البهائمُ للصغارِ حليبَها ... ولظى الرصاصِ من اليهودِ حليبُ
هل في طغاة الدهرِ غيرُ عدوِّنا ... طاغٍ لفِعلته الوليدُ يشيبُ!
لم تُجْدِني عندَ اليهودِ طفولتي ... فجميع شعبي عندهم مطلوبُ
كلٌّ سيلقى حَتفَه من غدرهم ... سِيَّانِ منا مبعدٌ وقريبُ!
هذا دمي المسفوحُ أصدقُ شاهدٍ ... هيهات يُجدي منهم التكذيبُ!
لكنْ لربِّكَ حكمةٌ في قَتلتي ... حسْبي بها أني إليه قريبُ

❖❖❖

أبتاهُ لا تقلقْ عليَّ فإنني ... صرتُ الشهيدَ... وإنني لَطَروبُ
هُرِعت ملائكَةُ السماء تزفّني ... وإلى جوار رسولنا مصحوبُ
أبتاهُ أحسبُ أنهم قرأوا غدي ... فَكَستْ وجوه الحاقدينَ قُطوبُ
فرمَوْا بنار الحقدِ عمداً مهجتي ... ورموْكَ علَّكَ للخُنوعِ مجيبُ
هيهات يا أبتاهُ أن يعنو لهم ... منا صبيٌّ، أوتَكِلَّ الشيبُ
حُبُّ الجهادِ نما عليه شعبُنا ... هيهاتَ مَن عَشِق الجهادَ يخيبُ!

❖❖❖

أبتــاهُ لا تقلــقْ علــيَّ، فكــلُّ مــا ... في الخلــدِ حولــي طيِّــبٌ وحبيــبُ
سَــلِّمْ علــى أمّــي، وقــلْ لأحبَّتــي ... إنــي برغــم المــوت ســوف أؤوبُ
أنــا في ضمــير النــاس أحيــا ثــورةً ... تُعلــي الجهــاد فَيُنصَــرُ المغلــوبُ
إن ضيّــعَ الطــاغوتُ عمــداً لــي دمــي ... وســلاهُ مِــنْ قبــلِ البعيــد قريــبُ
فلســوفَ يَنبُــتُ ألــفُ ألــفِ محمّــدٍ ... ولســوف ينموزرعُنــا، ويطيــبُ
ولســوف تمتلــيء البــلادُ ســنابلاً ... وتمــوج بــالثّمرِ الشــهيِّ جــدوبُ
ولســوف تُنهــي كــلَّ طــاغٍ ثــورةٌ ... ولســوف تمتلــكُ الأمــورَ شــعوبُ
قســماً لوأنــي عشــتُ مثــلَ رفاقنــا ... لرأيــتَ أنــي الفــارسُ المرهــوبُ
ولــزاد بأســي كلمــا احتــدم الوغــى ... ولــزاد منــي مــا حييــتُ وثــوبُ
قــل للجبــانِ يعــشْ عزيــزاً، أو يمــتْ ... فــالعمرُ محــدودُ المــدى محســوبُ
فــإلى الجنــانِ أحبتــي بشــهادةٍ ... هــي وحدَهــا لخلاصنــا المطلــوبُ

❖❖❖

يــا أهــلَ كوكبنــا الشــقيِّ بزمــرةٍ ... منهــا توالــت في الزمــان خُطــوبُ
لــولا جرائمُهــا التــي لا تنتهــي ... مــا كــان يُســمعُ للشــعوبِ نحيــبُ
إن لــم يَهُــبَّ العــالَمونَ لدحرِهــا ... فلســوفَ تجتــاحُ الأنــامَ كــروبُ

❖❖❖

لا تعجــبنَّ أبــي لحــالِ سَــراتنا ... أبــداً... فــإن ضميــرَهم منهــوبُ
نــاموا عــن القــدسِ المبــاركِ حولَــه ... فبســاح أقصانــا يجــولُ الذيــبُ
لــن يخدعونــا بعــد هــذا يــا أبــي ... مهمــا يُــزادُ بقدســنا التشــبيبُ

كم خدّرتنا في الزمان وعودُهم ... وخطابهُم كم كان منه خطوبُ!
يتشاغلون عن العدو بمنصبٍ ... فعلى الكراسي جُلُّهمْ مصلوبُ
هم يُسلِسونَ إلى العدو قيادَهم ... والشعبُ مسلوبُ القوى، معصوبُ
لا لم يعدْ يخفَى علينا مكرُهمْ ... فالشعبُ ممّا يرتضونَ غضوبُ
ضجَّ الورى غضباً لأسرِ ثلاثةٍ ... وهو الصمودُ إذا تُبادُ شعوبُ!
تالله ليسَ بعالَمٍ يُرجى وقد ... عزَّ السلوبُ، وعوقِبَ المسلوبُ
كم ألف معتصماه أطلقنا سدىً ... فالسمع - واخجلَ النُّهى - مثقوبُ
منهم، عليهم ذاب قلبي حسرةً ... فمتى من الخجل الطغاةُ تذوبُ!

❖❖❖

أبتاهُ هذا ما أرى في عالمي ... لا شيءَ عنّا هاهنا محجوبُ
حاشا لربِّكَ أن يُضيِّعَ لي دمي ... فالله حيٌّ يا أبي وحسيبُ
هذا دمي ودماءُ ألفِ محمّدٍ ... مثلي لهنَّ على الطغاةِ هبوبُ
أنا واحدٌ من جيل أُمّتنا الذي ... هيهاتَ عن أدنى الحقوقِ يؤوبُ!
هي جولةٌ للظلم تمضي يا أبي ... ولَدى المهيمن نصرُنا مكتوبُ

❖❖❖

أرأيتَ مثلي ما أرى في عالمي ... كيف الشعوبُ إلى الجهاد تثوبُ
الكون أيقظه الظلومُ بظلمهِ ... وغدُ المظالمِ مرعبٌ، ومريبُ
ستَدُقُّ أعناقَ الطغاةِ شعوبُها ... ودمي على كلِّ الشعوبِ رقيبُ

❖❖❖